مَـن كـان يـجـحـدنـي، فـقـد بـرحَ الـخـفـا،
مـا كـنـتُ أكـتُـمُـهُ عـنِ الـرُّقَـبـاءِ[١]
مـا سـاءَنـي لَـوْنـي وَإسْـمُ زَبـيـبَـةٍ،
إذا قـصّـرَتْ، عـن هـمّـتـي، أعـدائـي[٢]
فَـلـئـنْ بـقـيـتُ لأصْـنَـعَـنّ عـجَـائِـبـاً،
وَلأُبْـكِـمَـنّ بَـلاغَـةَ الـفُـصَـحَـاءِ[٣]

لون المسك

كانت العرب كثيراً ما تعيره بالسواد، فلما كثرت الأقاويل في ذلك أنشد في شرح حاله هذين البيتين:

[الوافر]

لَـئِـنْ أكُ أسْـوَداً، فـالـمِـسْـكُ لَـوْنـي،
وَمَـا لِـسَـوَادِ جِـلْـدي مِـنْ دَوَاءِ[٤]

(١) يجحدني: ينكرني، برح الخفاء: بدا للعيان ما كان مستوراً. ويبدو أن الشاعر يعرض لنا مشكلته الاجتماعية والإنسانية التي كان يخفي ما يُعانيه من جرّائها، فثمّة أب يُنكر بنُوّته، ويعتبره أحد عبيده، ونفسه في الأعماق ترفض واقعاً كهذا تدعوه إلى الثورة على قيم فاسدة، فقيمة المرء ما يُحسنه من عمل يقوم به، ولهذا استطاع أن يُظهر حقيقة أمره بما يبديه من شجاعة في ميادين القتال.

(٢) تتلخّص مشكلة الشاعر بلون أسود حالك وأمّ أعطته لونها، فضلاً عن عبوديتها، وضعف نفوس يتآكلها الحسد وضعف النفوس؛ فهم أعداء لا همّة لهم سوى الهمس واللمز، وقد يصل الأمر إلى الشتم.

(٣) يودّ الشاعر أن يضع بصماته على جبين الزمن يمسك بكلتا يديه بُشعلة النار المقدّسة إذا وافاه الحظ وامتدّت به فُسحة الزمن فلسوف يقوم بعظائم الأمور، حتى البلغاء سيسكتون ويبنون عن ضعف لبلاغته وحسن بيانه.

(٤) ردّ الفعل لدى الشاعر لتعيره بسواد لونه من بعض حاسديه حمله على =

وَلَـكِـنْ تَـبْـعُـدُ الـفَـحْـشـاءُ عَـنـي،
كَـبُـعْـدِ الأَرْضِ عَـنْ جَـوّ الـسّـمـاءِ[١]

= الدفاع عن نفسه، واعتبار ذلك قدراً مقدّراً لا حيلة له لردّه؛ وفي الواقع فالمسك، وهو أفضل الطيب وأثمنه يمتاز بسواد لونه.

(١) والمرء لا يُقاس بلونه إنما يُقاس بفعله وخلقه؛ فالفحشاء وسوء الخلق يبعدان عنه بعد السماء عن الأرض، ففي السماء يتمثل الطهر والعفاف وحسن الخلق.